



هم لم يعتمدوا لهجة أبناء الجبل او لهجة منطقة منه كما يقول البعض. بل اختاروا من سائر المناطق اللبنانية الالفاظ والكلمات الاجمل لفظاً وجرساً وقرباً من الذوق العام. وسعوا الى معجم لبناني تذوب فيه الفوارق اللفظية واللهجات المتنافرة الى حد بعيد. واستدرك من جديد هنا لأشير الى دور اللغة الواحدة واللكنة الواحدة في تفعيل الاندماج الوطني والانصهار الثقافي والمجتمعي. ونؤكد هنا مرة ثانية على ان الفن الرحباني قد التزم قلباً وقالباً خط الانفتاح والتلاقى والاندماج الوطني لا خط الإنغلاق الذي كان يتمثل في النكوص الى هويات مغلقة تسعى الى التقوقع والجمود. لقد راح هذا النذرة الفني المقدس يدعو الى المحبة والانصهار بعفوية المؤمن المحب. فكان ذلك نوعاً من النسامي sublimation وخولاً الى رمز طوباوي: وكأني بلبنان الوطن قد فرّ من الواقع الوطني ليستوطن الرمز والأغنية. ونذكر هنا ان البعض قد أخذ على المدرسة الرحبانية

مبهر وجوده وفرادته ورسوخه. فإذا كانت الأوطان تستمد رسالتها من وجودها فليبنان يتأكد وجوده ويترسخ بمقدار ما يكتشف رسالته العالمية الإنسانية ويلتزم بأدائها.

وأصل الى القول ان لبنان الاستقلال كان صورة سلبية negatif لوطن حلم تحتاج الى تظهير وتشكيل. وهذا ما صنعه الرحبانية بحدس فنيّ وطنيّ انبثق من شغفهم بتراث وطن الجذود المبعثر اذ بادروا الى جمعه وبلورته بأرقى مقاييس الإبداع الفني. ساعين الى تظهير صورة لبنان. الوطن الحلم. وكان مسرحهم صدى لهذا الخزون المكثف من قيم التراث وترجمة اجتماعية سياسية للبنان الميثاق وتمجيدها لرسالة عالمية لبنانية كبرى

٦-١ وبادر الاخوان رحباني الى توحيد اللكنات واللهجات اللبنانية المتنوعة. والى بلورة لغة شعبية لبنانية من خلال اعتماد لهجة ولسان واحد في الأغنية والمسرح. ونستدرك هنا لنقول:

وفضلاً عن ولادتها في حضن التراث اللبناني فقد اتخذت شكلاً مبتكراً تلائم مع إيقاع العصر والذوق الفني العالمي وهذا ما جعلها جسراً ابداعياً يمتد بين المبدع في العطاء اي الرحبانية وبين المبدع في التلقي اي الجمهور وتمكنت من خلال جدلية التكامل هذه ان تنضج وتتوهج وتتطور فانتقلت الى حوار غنائي ثم الى سكتش اذاعي مع سبع ومخول ونصري وهيفا... ومع بداية مهرجانات بعلبك حققت رغبة الجمهور في رؤية ما كان يسحر السمع. يتحول الى متعة نظر. وكانت المسرحيات الرحبانية الاولى التي انطلقت من التراث وراحت تتطور وتنضج عاماً بعد عام لتعالج في جلّياتها الاخيرة عمق اشكاليات الإنسان والعصر. فإذا كانت المسرحيات الاولى من موسم العز الى البعلبكية الى جسر القمر انعكاساً لمشاكل القرية اللبنانية. فالمسرحيات التالية: الليل والقنديل. بيع الخواتم. دوايب الهوى ركزت على آفاق السياسة وازماتها المجتمعية بعفوية وعمق. ثم ارتقت الى معالجة الإشكاليات الإنسانية الكبرى والهواجس الوطنية مع فخر الدين وجمال الصوان وبترا وميس الريم وغيرها. ثم الى مقارنة التحديات العالمية والمسائل الفلسفية كما في الشخص ولولو والمحنة وإذ اكتفى بالتلميح دون التحليل فلأن دراسة تطور المسرح الرحباني تشكل مشروعاً ثقافياً يتطلب أكثر من جهد واختصاص.

٥-٥ ولا اغالي اذا قلت ان المسرح الرحباني اسهم الى حد بعيد في تشكيل لبنان الوطن. فالأوطان تحتاج الى تراث مشترك ومخزون مشترك من الإبداع والقيم بين سائر فئاتها يدفعها لكي تتبلور ككيان اجتماعي وسياسي. وقد استطاع الاخوان رحباني ومدرستهم الإبداعية جمع تراث رمزي كبير وبلورة فلكلور عبر افضل تعبير عن روحية الشعب اللبناني وقيمه المشتركة. وقد اصاب من قال: فلنبداً أولاً بجمع وتأليف وتلحين اغاني الوطن وانشيده. ومن السهل بعدها ان يأتي من يسن القوانين. وغني عن القول ان لبنان حقيقة جغرافية مميزة بموقعها ورفعتها ومناخها وسيرورة تاريخية انتجت ملامح هوية برزت مع لبنان الكبير والدستور والإستقلال كما ارتسمت مع الميثاق آفاق رسالة لبنانية منشودة. وهذه الرسالة تمنح لبنان

